وقت للحب ووقت للتسول

« في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي طلبته فما وجدته »
« الليل يطـــول وأشبع قلقا حتى الصبح »
« أين الطريـــق الى حيث يسكـن النـور ؟ »

١ ــ سوناتا

شتاء ، يا دثارا كان من برد يغطيني
حننت اليك ، قلت : اشاه . والامـوات ان جـــاعوا وان عطشـــوا
فما من عابر يدري سوى الاشباح . والطين .
تدور الارض بالاشجار والاحجار والسكك الحـــديد وزحمة المدن
وتنفتل العواصف في الذرى والثلج ينهمر
وتخفق في الظلام فراشة أو يرتمي قمر
وتزدحم الحدائق والمرافىء بالحفيف وصيحة السفن
ووجهك في الزحام تراه يبصرني فيعرفني .
أما من قوة في الارض تحملني
اليك ؟ جريدة حمقاء أو خبر
صغير عن حذاء أميرة شمطاء يطوي كل ناحية وينتشر وأبقى لاصقا بالارض ، أصرخ : من يغطيني ؟
وأهتف فـــــي الظلام : اشاه . والاموات ان جاعـوا وان عطشوا
فما من عابر يدري سوى الاشباح والطين .

٢ ــ أغنية

لا توقظ الجرح الذي نام على الفضا
ولا تناد عالما مضى .
سفينة الرماد
تحمل أمواتا بلا معاد .
فليس خلف هذه الاسوار من ذهاب
وليس بعد الموت من اياب .
يا زبدا يطفو على العباب
هل من يد تفتح لي أغنية أو باب
البرد في الطريق والامطار والضباب
هل من يد تفتح بابا : انه الشتاء
وليس غير الورق الميت والسحب التي تكفن السماء .
أيتها الشمس التي تمرح خلف هذه الهضاب
أيا عروسا في حرير النوم ، يا مسبلة الاهداب
أود أن أرفع عن جبينك النقاب .
الفقر والبرد رفيقا رحلتي ، الفقر والشتاء
وهذه السحب التي تكفن السماء .
يا زبدا في البحر ، يا ذبالة المصير
هذا الصدى النائح يقتفي خطاي أينما أسير
أسحب أقدامي على أرصفة الوطن
أجر أطماري ، أجر خلفي الكفن
هذا الصدى النائح يبكي من ؟

٣ ــ في مقهى البرازيليه

تبيّنت وجهك عبر الزجاج
ورفرفة الليل والسابله
وكان لأخرى . وبين الزجاج
وبيني اضاع الهوى ساحله .
فما جئت ، يوما ، الى غرفتي
محملة بالزهور ..
وكالموج صدرك ملء القميص .
كأن لم يفح في الفراء الوثير
وفي الشعر نفح الثلوج ..
كأن ما احتوت قبضتاي
نعومة أكتافك العاريه
وما انساب عنك الحرير
وما أقمرت غرفتي الداجيه
أو انهار فوق البساط الوشاح
كما انهار ، فوق السرير ، الصباح .
تبينت وجهك عبر الزجاج
ورفرفة الليل والسابله
وكان لأخرى . أما من زجاج
يصيب الهوى عنده ساحله .

٤ ــ غراميه

لا تسدلي الستاره
لا تتركي القميص ، في تمنع ، يتابع انحداره
مهما تصنعت فهذا الجسد المبتذل النضاره
يخذلك الليلة فهو بارد ، مستهلك الحراره .
لا تقربي مني ، فلن أعانق الميت أو أبارك احتضاره
لا تطفئي المصباح يا بليدة الاثاره
مهما تدثرت وراء هذه العذوبة المعاره
فأنت تلك القطة الثرثاره
تموء في مطاعم الليل ، ولن ينفعك الفراء والاصبـــاغ والاناره .
لا تحجبي عينيك في يديك كالصبية الخجولة المثاره
لا تدّعي الحياء والبكاره
لن تخجلي ، من عريها ، لن تخجل الحجاره .
شبعى ، أذن ، متخمة ، منهاره
تركت كل شفة سائلة اللعاب والدعاره
كل عجوز رثة مهذاره
وكل شيخ أهدل ، مهدم الشدقين كالمغاره
يلحس هذا الصدر أو يمتص ، في رعونة ، ثماره .
هذا المساء كلبة مبتلة تنث في القراره
سأخرج الليلة دون قبلة كسيحة الجناح أو اشاره
كقائد يسحب ، في كآبة المنهزم ، انتصاره .

٥ ــ الشتاء

شعرها المبتل محلولا على وجهي انتشر
وأنا تحت الغطاء
وارتمى معطفها الناعم كالفصن ثقيلا بالمطر
مزهرا ألقت به الريح على العشب المضاء
وشممت الثلج في دفء الفراء
كبقايا النغم العابق في القاعة ،
وانهار الستار
جائعا ، ألمحني ، أسحب فـــي الشمس حذاء هرأتـه الطرقات .
تجد الغربان والديدان والوحش وطير الفلوات
يجد السانح والبارح أنثاه وأبقى في انتظار
تسفح الريح على وجهي الغبار
وأعب الشاي في المقهى ،
ويلتف النهار
في فراء النسوة الملتهبات
وأنا أسحب في الشمس حذاء هرأته الطرقات .

٦ ـ ليلة قرب غابة الصنوبر

عبير ناتاشا ، سهوب ، عتمة ، غابات
في ليلة أمطرت السماء فيها ساعة واشتعلت باقات
من أنجم كبيرة تنوشها الايدي كما تنوش في الحديقة
التفاح .

رائحة العشب الذي تلتهم النيران ،
القبل العمياء ، برق أخضر النباح ،
وحفنة من كرز وخوختان
بالقرب من صنوبر يصعد كالدخان .
« خذني اليك ، كان في الحديقة التفاح
يسقط ، خذني ، هكذا ، كامرأة تعصف في ربيعها يدان،
فتملأ العجوز « بتروفنا » سلالا ، كانت السماء
زرقاء ، زرقاء بلا انتهاء .
خذني اليك ، كان في الحديقة .. »
نامت وما أغمضت جفنا ، والشذى الطافح في العراء
غمامة .. نبهها الرعد الذي صك ذرى الغابات وانتشر
فخبأت وجها صغيرا ناعما عندي ، وفي الاعشاب والشجر
رائحة المطر .

٧ ـ يوم غائم

عروس الثلج في الغابات هائمة ، وفي المطر
أعانق منك ظلا في سماء شمسها ذهب
وأحذية . وفي البحر الطيور يهدها التعب
على أمواج تكور نهده أو فرّ كالاكر ،
وترتجف النساء عذوبة في المركبات تجوب دنيا
غير دنيانا
وتجهش رغبة أو لذة في ظلمة السرر
وينهمر الشتاء ، يلف معطفك الندي ، بما تنوء يداك
من زهر
شممت شذاه ذات ضحى ، ويلهث في الطريق الباص
تعبانا
وتنبت كل واجهة حديقتها .
ويشمخ ردفها تيها وعدوانا
وعبر زجاجها المبتل تلتف الغصون وترتمي ذهبا
وأحذية ، فأدفن في جرائدهم جبيني غائما تربا .
تموء يداي في الطرقات كالهرر
وتلتهب النساء وحيدة في ظلمة السرر
وفي المطر
اعانق منك ظلا في سماء شمسها ذهب
وفي دفء المعاطف ، والطيور يهدها التعب ،
تخبىء كل واحدة حديقتها الثقيلة بالشذى والهمس
والثمر .

٨ ـ الثلج الاول

النورس الابيض في البحار ،
الليل في حان قديم منزو ثرثار
رائحة البيرة ، طعم السمك المملح اليابس في الشفاه
« باردة كفك . ملتفا ، بعيدا ، غامضا أراك
تهرب من أصابعي يداك . »
كان التطام الموج خلف الحائط المنهار
يعلو كقلب خائف ،
« لنذهبن الآن ..
أشعلت غليونك ؟ آه الثلج ، ما ألطفه ، رباه
أول ثلج !.. »
طعمه في الشعر المحلول والشفاه
في غرفة عابقة بالتبغ والأكاسيا ، مفتوحة الشباك
على الخليج العذب ، كان الثوب ملقى دونما اهتمام
كنورس أبيض قد أدركه المنام .

٩ ـ سفيتلانا

غبرة تلتف في الروح ، وموتى يعبرون
بابك المفتوح كالافق ولا يلتفتون .
وعلى موج من التانغو الحنون
تبحر الغرفة والنخل ..
ويطفو قمر الثلج البليل ،
رغوة الشمبانيا الرائقة العذبة في الكوب النحيل
وثياب السهرة المنحسره
وغصون القبل المنهمره
والشذى الهائم في غابات سرو مقمره ..
آه لا توقظ نؤوما تسبل الهدب الطويل
وعلى وجنتها الفضة ذابت شفتاك
وطوال الليل هامت ، في براري ظهرها الساجي ، يداك .
أغمضت طرفا وأبقت شفة تلهو على صدرك كالهر الكسول
وعلى وجهك والزند العجول .
كان ليل أبيض يغفو وناس يلغطون
وعلى موج من التانغو الحنون
تبحر الغرفة والشارع والثلج الهتون
أغمضت طرفا وأبقت فوقها المصباح مفتوح العيون .
غبرة تلتف ،
لو أمطر غصن أو غمامه
لو تغنت في ظلام الريح والنخل يمامه .

١٠ ـ ورقة من بيت الموتى

الزبد الضائع في البحار
والورق الميت والغبار
آخر شيء قابع في جعبة الممثل المهزوم .
منفردا أراه
يحلم في مقهاه
يلتف في معطفه المهترىء القديم
يشد في غيظ على الكأس ، ويهذي غائبا ، محموم .
عرائس الغابات ، من أوكارها ، فرت فمن يحوم
في منزل الاموات غير البوم ؟
أوديت في بحيرة البجع
أسيرة الريح الى الأبد
فمن يدق بابها ؟
يا حفنة الزبد
يا لهبا يلتهم الجسد
عرائس الغابات فرت : انه الشتاء
يطمر في ثلج الليالي الارض والسماء .
ليحلم الممثل الفاشل في مقهاه
لتحترق يداه
وراء هذا القمر الذائب في المياه مرتجفا ، محموم
تطفو على سريره النوارس الموتى ويصحو البوم
منتحبا يحوم .
ليصرخ الممثل الفاشل ما يشاء
مرتجلا آخر فصل عاصف في هذه المهزلة البكماء
العربات أقلعت ، ليلا ، وأبقته على رصيفها طريح
وليس غير الريح
تدور ، لا تحفل في شيء ، وتلتف على أعمدة الضياء .

بغداد

حسب الشيخ جعفر